© 2025 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

القرآن الكريم في الفكر الحداثي" التشريع والوحي والتأويل"
مؤسسة مؤمنون بلا حدود نموذجا" (*)

سمير أبو عياش[1]، علي علي جبيلي ساجد [2]، أزمل زين العابدين [3]

(The Holy Quran in Modern Thought: Legislation, Revelation, and InterpretationThe (Muminoun Without Borders) Foundation as a Model)

Sameer Abo Ayash, Ali Ali Gobaili Saged, Azmil Zainal Abidin

ABSTRACT

This study aims to shed light on the position of modernists regarding the Qur'an in matters of legislation, revelation, and interpretation. The reason for selecting the "Mominoun Without Borders Foundation" as a model for this research is that it leads to modernist discourse in contemporary times. This foundation is considered one of the modern institutions that have contributed to uniting modernists, publishing their works, and shaping their approach to dealing with the Qur'an.

The foundation's position is reflected in its methodology, which includes calling for reevaluating the sanctity of Islamic legislative sources, foremost among them the Qur'an. It also views revelation as a form of madness experienced by the Prophet ﷺ, favoring a human rather than divine origin of revelation. The study seeks to examine the

(*) This article was submitted on: 22/10/2024 and accepted for publication on: 29/04/2025.

1 PhD Student, Department of Akidah and Islamic Thought, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya.
Email: ayyash.sameer2012@gmail.com.

2 Senior Lecturer, Department of Quran and Hadeeth, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya.
Email: saged@um.edu.my.

3 Associate Professor. Department of Akidah and Islamic Thought.Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya.
Email: hadiqah_irfanum.edu.my

issue of arbitrary interpretation of Qur'anic texts. Through its writers and researchers, the foundation has theorized and promoted a new type of interpretation among Muslims, both individually and collectively. This interpretation is described as lacking the proper standards of correct hermeneutics, as will be explained in this study. Through research, I reached several conclusions: 1. The foundation relies on absolute reasoning, prioritizing intellect over the texts of the Qur'an. 2. There is intellectual chaos in presenting ideas aimed at fragmenting the Arab and Islamic intellect. 3. The foundation has stripped the Qur'an of its sanctity, reducing its verses to ordinary texts. This has led to a lack of adherence to the Qur'an and its guidance among many of the foundation's followers. 4. The modernists in "Mominoun Without Borders" have employed Western tools to study the Qur'an, borrowing them from the West and Orientalists without considering the differences between the Islamic and Western environments, or the unsuitability of modernist thought for the Arab and Islamic context. 5. The foundation views the Qur'an as a historical text, revealed for a specific period and not for all times. In my study, I employed the descriptive method to present and review the ideas of the "Mominoun Without Borders Foundation," as well as the analytical and critical method to analyze, critique, and comment on their ideas and texts.

Keywords: *Mominoun Without Borders, Qur'an, Interpretation, Sources of Legislation, Revelation, Modernist Reading.*

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موقف الحداثيين من القرآن الكريم، في مسائل التشريع والوحي والتأويل، وسبب اختياري " مؤسسة مؤمنون بلا حدود" كأنموذج للبحث لأنها تتصدر الحداثيين في الزمن المعاصر، وتعتبر هذه المؤسسة من المؤسسات المعاصرة التي أسهمت في لم شمل الحداثيين، ونشر مؤلفاتهم، وموقف المؤسسة متمثل في منهجهم في التعامل مع القرآن الكريم، من حيث الدعوة إلى إعادة النظر في قدسية مصادر التشريع الإسلامي وأولها القرآن الكريم، ، ثم النظرة إلى الوحي على أنَّه نوع من الجنون الذي اعترى النبي ﷺ، ثم ترجيح مصدرية الوحي الإنسانية وليس الربانية، وتهدف الدراسة إلى

الوقوف على مسألة التأويل العبثي لنصوص القرآن الكريم، حيث حاولت المؤسسة من خلال الكتَّاب والباحثين التنظير لنوع جديد من التأويل ونشره بين المسلمين أفراداً وجماعات وهذا التأويل يوصف بأنَّه غير منضبط بضوابط التأويل الصحيح كما سنبين في هذه الدراسة وقد توصلت من خلال البحث إلى عدة نتائج: أولا: اعتمادها على العقل بشكل مطلق وتحكيم العقل في نصوص القرآن الكريم، ثانياً: الفوضى الفكرية في طرح الأفكار لتشتيت العقل العربي والإسلامي، ثالثاً: قامت المؤسسة بنزع القداسة عن القرآن الكريم فأصبحت نصوصه في نظرها نصوصاً عادية كأي نص آخر وقد تسبب هذا الأمر بالتهاون في اتباع القرآن الكريم والسير على منهجه لدى كثير من أتباع المؤسسة، رابعاً: استخدم الحداثيون في مؤسسة مؤمنون بلا حدود أدوات غربية لدراسة القرآن الكريم استوردوها من الغرب ومن المستشرقين دون النظر إلى اختلاف البيئة الإسلامية عن البيئة الغربية، وعدم صلاحية الفكر الحداثي للتطبيق في البيئة العربية والإسلامية، خامساً: اعتبرت المؤسسة أن القرآن الكريم نص تاريخي. نزل لحقبة زمنية محددة وليس لكل الأزمنة. وقد استخدمت في دراستي هذه المنهج الوصفي وذلك من خلال وصف استعراض أفكار مؤسسة مؤمنون بلا حدود ثم المنهج التحليلي النقدي من خلال تحليل أفكارهم ونصوصهم ونقدها والتعليق عليها.

كلمات دالَّة: مؤمنون بلا حدود، القرآن الكريم، التأويل، مصادر التشريع، الوحي، القراءة الحداثية.

1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: فإنَّ القرآن الكريم كتاب عزيز محكم وصفه الله

عز وجل في محكم التنزيل بقوله تعالى:(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت:42]فهو دستور الأمة الخالد إلى يوم القيامة، وقد تعددت مناهج العلماء في التعامل مع القرآن الكريم ، وفقاً لمجموعة من الضوابط التي وضعها العلماء ووفقاً لفهم السلف الصالح الأقرب إلى عصر النبي ﷺ، وقد ظهر في العصر الحديث تيَّارات وتوجهات فكرية معاصرة تعاملت مع القرآن الكريم تعاملاً مختلفاً عن منهج السلف الصالح وعلماء الأمة، ومن هذه التيارات تيَّار الحداثة، فالحداثة والحداثيين المؤيدين لها في العالم العربي والإسلامي تعد من المواضيع المثيرة للجدل بشكلٍ واسعٍ بين المفكرين والباحثين في الأوساط الأكاديمية والثقافية، إلاَّ أن المثير للذهن هنا في هذه المسألة هي جدلية الحداثة وإقحامها في المجال الديني، فإنَّ المتتبع للتاريخ يدرك أن الحداثة أول ما نشأت؛ نشأت في مجال الأدب والشعر، لكنَّ بعض الحداثيين العرب استوردوا الحداثة لإقحامها في المجال الديني، مثل "مؤسسة مؤمنون بلا حدود"، التي كان لها منهج خاص في التفاعل مع النص القرآني، فعلى سبيل المثال لا الحصر مسألة إعادة قراءة التراث الإسلامي بناءً على الحداثة والعصرنة والتجديد، ومسألة الأنسنة حيث يتعاملون مع الوحي على أنَّ مصدره إنساني وليس إلهي، لا سيما أنَّ منهج المؤسسة هو نقد العقل الإسلامي والهدف منه نقد الوحي وهدمه، وامتداح العقل الغربي، وتقديس العقل بشكل عام على حساب الوحي والنصوص الدينية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكل ذلك بهدف نزع القداسة عن القرآن الكريم من خلال النظرية: أنَّ القرآن الكريم على حد قولهم كتاب تاريخي وليس كتاباً مقدساً لا يصلح إلاَّ للزمن الذي نزل فيه، فلذلك لا يصلح لكل زمان ومكان، وجعلت المؤسسة مسألة التأويل مسألة مركزية في فهم القرآن وإعادة قراءة نصوصه

قراءة معاصرة، وجاءت هذه المحاولات العديدة التي سجلت في تاريخ المؤسسة عبر ندواتها المنعقدة من وقت لآخر أو إصدارات المؤسسة المقروءة والمرئية والمسموعة من خلال منهجية منظمة ومشاريع مختلفة عملت المؤسسة على تأسيسها في العالم العربي والإسلامي، كما في مشروع الحالة الدينية في العالم العربي والإسلامي فهو مشروع ثابت للمؤسسة وتصدر عنها تقارير دورية من خلال مكاتبها ومندوبيها في العالم العربي، وهناك مشاريع فردية لكتَّابٍ تنشر لهم المؤسسة إصداراتٍ وكتب ومقالات وتتغنى بكتاباتهم، مثل مشروع حسن حنفي في كتابه من العقيدة إلى الثورة، ومع أنَّه قديم إلاَّ أنه أودع فيه جلَّ أفكارهم، وهذا فقط مثال على مشاريعهم وليس للحصر، وكمشروع عبد المجيد الشرفي في تحويل الدين إلى ظاهرة تاريخية ليصل في نهاية الأمر إلى تشكيك الأمَّة في دينها وأصل ثبوته، وتدعي المؤسسة أنَّها تنقد المواد الشارحة للفقه وتفسير القرآن من قبل الفقهاء والمفسرين إلاَّ أن المتتبع لمؤلفاتهم يلاحظ بدقة ويعرف معرفة اليقين أنَّهم يستهدفون بالنقد الدين الإسلامي برمته وليس شرَّاح الحديث والفقه والتفسير، وإنَّما هذه الحجة يتخذونها كغطاء لهدفهم الأول وهو هدم الدين وتعطيل الوحي، وكل هذا ليصلوا إلى استهداف القرآن الكريم وفرض قراءة جديدة وتفسير جديد له يختلف عما أقَّره علماء التفسير المتقدمون في التاريخ الإسلامي.

2. مشكلة البحث:

في ظل انتشار العولمة في العصر الحديث عاد ظهور ما يسمَّى بالحداثة للظهور على الساحة العربية والإسلامية، وفي ظل هذا الانتشار ظهرت مؤسسات تقود

الاتجاه الحداثي وتنطق باسم الحداثيين، ومن هذه المؤسسات المدعومة من أنظمة رسمية دعماً لا متناهي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، فمنذ نشأة هذه المؤسسة وهي تحاول نشر الفكر الحداثي في العالم العربي والإسلامي وأخطر ما تحاول المؤسسة نشره والذي نركز عليه في هذا البحث هو أن المؤسسة تطرح إشكالية الفكر العربي أنَّها تتركز في تراث الأمَّة ويتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، فدعت المؤسسة إلى إعادة قراءة القرآن الكريم وفهمه فهماً حداثياً معاصرا، فالإشكالية أن الذي تحاول المؤسسة إصلاحه حسب ادعائها كان سبباً في فشل المؤسسة فكرياً وحتى من ناحية الشهرة والانتشار بين الناس فلم تحقق المؤسسة أهدافها بل على العكس تسببت أفكارها في إقصائها فكرياً ورسمياً واجتماعياً.

3. سؤال البحث:

ما هي الأسس الحداثية التي انطلقت منها مؤسسة مؤمنون بلا حدود في محاولة تأسيس ونشر فهم جديد وقراءة حداثية لنصوص القرآن الكريم من خلال تركيزها على ثلاثة مسائل كبرى هي الوحي، والقرآن الكريم كمصدر رئيسي للتشريع، ومسألة التأويل؟

أهداف البحث:

1) دراسة نظرة مؤسسة مؤمنون بلا حدود للقرآن الكريم وتعاملها مع النص القرآني واستعراض أفكارها حول نظرتها للقرآن الكريم.

2) تحليل منهجية المؤسسة في التعامل مع القرآن الكريم.

3) نقد فكر المؤسسة واتجاهاتها نحو القرآن الكريم والكشف عن خطورة هذا الاتجاه في المجتمعات العربية والإسلامية.

4. الدراسات السابقة:

دراسة بعنوان: القراءة الحداثية: مفهومها ونشأتها وسماتها، هادي بهجت إسماعيل، محسن سعيد الخالدي، 2023:

تناول الباحثان في هذه الدراسة مسألة القراءة الحداثية للنصوص الدينية كمصطلح منتشر في الزمن المعاصر، واعتبر الباحثان أنَّ القراءة الحداثية للنصوص الدينية ليست منفصلة عن مسألة الاتجاه الحداثي بل هي أحد أهم أركانه، ثم تناولا مصطلح القراءة الحداثية وعرَّفوه وركَّزوا على المفاهيم ذات الصلة مثل الفيلولوجيا، والهرمينوطيقا، والقراءة السيميائية، والقراءة التفكيكية، ثم انتقل الباحثان للحديث عن نشأة القراءة الحداثية وارتباطها بالسياق الأوروبي الغربي زمن النهضة، ثم تحدثا عن سمات القراءة الحداثية وطريقة تعاملها مع النصوص الدينية، وأخيراً تحدث الباحثان عن دخول القراءة الحداثية للعالم العربي والإسلامي، وأسباب ذلك.

دراسة بعنوان: القراءة الحداثية للعرفان الإسلامي عند عبد الكريم سروش، خماس مختار، الحاج دوَّاق 2023:

تناول الباحثان في هذه الدراسة مسألة القراءة الحداثية للتراث الاسلامي، في سياق محدد وهو، من منظور المفكر الإيراني عبد الكريم سروش، أحد المتكلمين الجدد في إيران في الزمن المعاصر وقد ركز الباحثان على الأسس

الحداثية التي انطلق منها سروش في قراءته للتراث الإسلامي. وعرج الباحثان أيضا على مفهوم القراءة الحداثية. كمصطلح، ثم استعرضوا السيرة الفكرية لسروش وأثرها في توجهه نحو هذه القراءة التي تبناها، واستعرضوا أيضا المرجعيات المعرفية للمؤلف. وقاموا بنقد الأسس التي بنى عليها منهجه كقارئ حداثي للتراث الإسلامي، حيث يعتبر هذا المشروع تابعا للمشاريع الحداثية في العالم الإسلامي وإن بدا بنظرة مختلفة عن نظرة الحداثيين الآخرين إلا أنه يعتبر جزء منها، والفرق بين هذه الدراسة ودراستي هو ان السياق مختلف بينهما فهذه الدراسة تناولت القراءة الحداثية لسروش حيث يعتبر توجهه مختلفاً عن باقي الحداثيين، ودراستي اهتمت بالسياق العربي حيث مؤسسة مؤمنون بلا حدود التي أنشأت في المغرب العربي ومنهجها اتسم بالتوسع في نقد التراث الإسلامي وتأسيس وتطوير القراءة الحداثية للنصوص الدينية.

دراسة بعنوان: الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية، يحي مصلح علي المسقري، رسالة ماجستير، جامعة قطر 2017.

يتحدث الباحث في هذه الدراسة عن مسألة الوحي من منظور الحداثة وأصحاب الفكر الحداثي، وقد بيَّن الباحث في دراسته أن الاتجاه الحداثي يسعى لتقليد الغرب والمستشرقين في نظرتهم للمسائل العقدية ومنها الوحي، وقد سعى الحداثيون لنزع القداسة عن الوحي، واعتباره عملا بشرياً خالصاً، ليس في هذا العمل تدخل رباني، وقد بدأ الباحث دراسته بتعريف مفهوم الحداثة، واستعرض مفهوم القراءة الحداثية

للوحي، ثم استعرض نشأة الحداثة في الغرب وآثارها ومنها ترسيخ القراءة الحداثية للوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية)، ثم انتقل لأسباب انتقال الحداثة ودخولها إلى البلاد العربية والإسلامية، ثم شرع الباحث في استعراض دعاوى وشبهات الحداثيين حول الوحي وأخذ يفندها واحدة تلو الأخرى، ومن هذه الشبهات، طعنهم في مصدرية القرآن الكريم، وطعنهم في الحقائق القرآنية، وفي حفظ الله للقرآن الكريم من التحريف والتبديل، والفرق بين هذه الدراسة ودراستي أن هذه الدراسة خصصت موضوع الوحي بالبحث، ودراستي ستكون في عدة مسائل.

دراسة بعنوان: النص القرآني بين دعاة الحداثة والمعاصرة، أمامة شحادة العمري، 2014 :

هذه الدراسة عبارة عن رسالة دكتوراه في جامعة اليرموك، الأردن، تتحدث هذه الدراسة عن المعنى المراد من النص القرآني عند دعاة الحداثة والمعاصرة، واستخدمت الباحثة المنهج المقارن في حديثها عن الاتجاهين الرئيسيين في الدراسة: الحداثيون والمعاصرون، وركزت الباحثة على ثلاثة قضايا مركزية في مقارنتها بين الاتجاهين المذكورين وهي أنسنة النص القرآني، وتاريخانية النص القرآني، وعقلانية النص القرآني، ثم تطرقت لموضوع تفسير القرآن من وجهة نظر الحداثيين والمعاصرين والشروط الواجب توافرها في مفسر القرآن الكريم، وقد استعرضت الباحثة أفكار الاتجاهين مع تحليل للنصوص التي ألَّفها الطرفان، والفرق

بين هذه الدراسة ودراستي أن هذه الدراسة بحثت جزئية واحدة من المسائل العقدية التي تدخَّلت الحداثة فيها وهي النص القرآني وتفسيره وكيفية قراءته وتأويله عند دعاة الحداثة، ولم تتعرض الباحثة الى مسائل عقدية أخرى والمسائل التي تحدثت فيها المؤسسات الحداثية ومنها مؤسسة مؤمنون بلا حدود وهذا ما سنتحدث عنه باستفاضة في هذه الدراسة.

دراسة بعنوان: القراءة التأويلية لدى نصر حامد أبو زيد، خالد القرني، الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة، 2013:

يتحدث الباحث في هذه الدراسة عن شخصية حداثية بارزة في العالم العربي " نصر حامد أبو زيد" ومنهجه في تأويل نصوص القرآن الكريم، والتركيز على نصر حامد أبو زيد لبروزه في مسألة التأويل، فهو يركز على جعل القراءة التأويلية منهجاً في التعامل مع نصوص القرآن الكريم، ويسميها معضلة التأويل، ثم تحدث عن اعتقاد أبو زيد بأن القرآن الكريم كتاب تاريخي بسبب تحققه في الزمن والتاريخ، ثم بين اعتقاده في مسألة الوحي وقد انقسم مؤيدو أبو زيد الى قسمين قسم يرى أنه انكر الوحي، والقسم الآخر يرى أنه لم ينكره وإنما سعى لتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية، ويرى الباحث أنَّ المؤلف قد أعلى من شأن مسألة التأويل مقابل التفسير وأنَّه وظَّف المنهج

الاعتزالي في القراءة التأويلية، ثم بيَّن في الفصل الثاني أنه يدعو إلى قراءة جديدة للتراث الديني، وأنه زاوج بين فهمه في دراسته للنص القرآني بين المنهجين الاعتزالي والصوفي، وتوصل الباحث أن أبو زيد لم ينكر الوحي بالجملة وإنما سعى لإخضاعه لمنهجه التأويلي وأنَّه فرَّغ الوحي من محتواه عزله عن الواقع، ودعى للتحرر من سلطة النص ورفض شمولية الدين لكافة شؤون الحياة، والفرق بين هذه الدراسة ودراستي أن هذه الدراسة غير شاملة لكل ما قدمه نصر حامد أبو زيد فله كثير من المؤلفات الحداثية ويعتبر من الكتَّاب البارزين في مؤسسة مؤمنون بلا حدود، فهذه الدراسة ركزت على مسألة التأويل وفي هذه الدراسة سنتوسع في مزيد من القضايا الحداثية التي أدخلها الحداثيون في مجال العقيدة الإسلامية.

2. الوحي

1: الوحي ظاهرة ثقافية إنسانية عند المؤسسة[4].

4- أنشأت مؤسسة مؤمنون بلا حدود في شهر مايو من العام الميلادي 2013، وهي مؤسسة عربية مقرها الرباط في المغرب العربي، وتصرح المؤسسة على موقعها الالكتروني أنها تعنى بتنشيط البحث المعرفي الرصين في الحقول الثقافية والمعرفية عموما، والحقول الدينية خصوصاً، وتعنى المؤسسة الحداثية بالخصومة مع الفكر الإسلامي ونقد كل ما يمت للدين بصلة، ولها عدة مشاريع حداثية في العالم العربي والإسلامي، وتمولها دول عربية تسعى لفرض أجندةٍ فكرية معينة.

حينما بحث الحداثيون مسألة الوحي بحثوها من جانب ثقافي بحت، واعتبروا أن الاتجاه التقليدي الرافض للحداثة كما يسمونه له مخيلة وقاموا بالدخول إلى هذه المخيلة لمعرفة مذهبهم فيما يخص مسألة الوحي، وقد بنى الحداثيون على دراسة هذه المخيلة كما يزعمون مجموعة تحليلات ونتائج تعلقت بتطور الفكر الديني وصناعته عند الجماعات الأصولية كما يسمونها، والأمر الثاني أنهم درسوا ظاهرة الوحي من باب الانثروبولوجيا[5] ويقاربونها مقاربة فينومينولوجية يقول جمال لخلوفي في دراسة له في مؤسسة مؤمنون بلا حدود:(اننا نروم القيام بالبحث في الأسس الثقافية التي تأسس عليها مفهوم الوحي وصورته النمطية في مذهب أهل الحديث من خلال تحليل بعض الأحاديث المنسوبة إلى نبي الإسلام، بالبحث داخل الفراغات التي ملأتها مخيلة الفاعلين في نشأة هذا الفكر، والتي نهلت من الأطر الثقافية لأصحابها، وشكلت بنية لا شعورية عميقة، كان لها تجليات واضحة في تطور الفكر الديني وصناعته عند هذه الجماعة، من خلال القيام بعمل تركيبي يندرج في إطار التحليل الأنثروبولوجي وفق مقاربة فينومينولوجية).[6]

والمسألة الثانية المتعلقة بالوحي عند مؤسسة مؤمنون بلا حدود أن الباحثين والمفكرين في المؤسسة قاموا بإخضاع ظاهرة الوحي للبحث والدراسة باعتبارها ظاهرة إنسانية وأخضعوها للحفر كما يقولون مستخدمين أدوات البحث في العلوم الإنسانية وهذه

5- علم يسعى لدراسة الإنسان كمخلوق اجتماعي وثقافي في كل الأزمنة والأماكن، محاولًا الكشف عن القوانين التي تحكم تطور الثقافات والمجتمعات البشرية.

ʿAbd al-Ḥamīd, Ḥilmī. (2000). *ʿIlm al-Antharūbūlūjiyā*. al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif. p. 10.

6. Lakhlūfī, Jamāl. (2022). *Antharūbūlūjiyā Al-Nubuwwah: Al-Waḥy Fī Mutakhayyil Ahl Al-Ḥadīth*. Al-Maghrib al-ʿArabī: Muʾassasat Muʾminūn bilā Ḥudūd. p. 2.

الأدوات مستوفدة من الغرب فالتفكيكية والحفر أدوات استخدمها المفكرون الغربيون لدراسة الظواهر الجديدة في الغرب، يقول عبد الوهَّاب المسيري:(التفكيكية: ترجمة شائعة مباشرة ومعجمية لعبارة دي كونستراكشن deconstruction ، ولكنها لا تنقل مضمون الكلمة الأجنبية التي قد يكون من الأفضل ترجمتها بكلمة التقويضية أو الانزلاقية، ولكن كلمة تفكيكية هي الأكثر شيوعاً، وقد تحدَّث كارل مانهايم عن (destruction) التقويض والهدم، وهو هدم كل الأيديولوجيات التي تُخادع ذاتها بالضرورة وتتصور أنها تفلت من التاريخانية النسبية ومن قبضة الصيرورة، كما استخدم هايدجر نفس الكلمة بنفس المعنى تقريباً، ففي كتابه (كانط ومشكلة الميتافيزيقا)، تَحدَّث عن الحاجة إلى إعادة النظر في تاريخ الأنطولوجيا الغربية بطريقة تهدف إلى كشف موضوع دراستها وتطوُّرها وهو ما يتطلب فك تقاليد الأنطولوجيا الجامدة المتكلسة من خلال عملية هدم، وقد استخدم دريدا كلمة هدم أو تقويض (destruction) في بداية الأمر، ولكنه عدل عنه واستخدم بدلاً منها كلمة تفكيك .ومع هذا، تظهر النزعة التقويضية بشكل صريح في حديثه عن إجهاد اللغة الذي سيؤدي إلى موت الكلام وحضارة الكتاب. وقد عرَّف هو نفسه التفكيكية بأنها "تهاجم الصرح الداخلي، سواء الشكلي أو المعنوي، للوحدات الأساسية للتفكير الفلسفي، بل تهاجم ظروف الممارسة الخارجية، أي الأشكال التاريخية للنسق التربوي لهذا الصرح والبنيات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية لتلك المؤسسة التربوية .وحيث

إنه لا يذكر بديلاً لهذه المؤسسات كافة، فإن ما يهدف إليه هو تقويض وهدم، حتى لو سماه التفكيك)[7].

إذاً فقد رأينا أن أصل الكلمة استخدم في سياق غربي، وبالنسبة لكلمة الحفر فقد استخدمها الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو وقد استعارها معظم كتَّاب مؤمنون بلا حدود منه، حيث يقول جمال لخلوفي:(وتروم هذه الدراسة البحث في الأسس الثقافية التي يقوم عليها مفهوم الوحي عند أهل الحديث (السلفيين)، وذلك عبر الحفر اذا استخدمنا مفهوم " ميشال فوكو" أو " التفكيك الفينومينولوجي بعبارة هايدجر، في المرجعيات والمسلمات التي تنطلق منها أثناء تأسيس المعنى والتي تحضر في شكل مخيالٍ أو متخيل خاص بالجماعة التي ينظمها، ثم يعود المؤلف معلقاً على قصة بدء الوحي بقوله: غير أننا نعتقد أن هذه القصة لم تبح بعد بكامل أسرارها، ونتوخى إعادة قراءة تشكل الدين الإسلامي من خلال إلقاء أضواء على بعض جوانبها، إذ إننا نتتبع أثرها في المخيال الذي تشكَّل عبرها)[8]

لاحظنا من النص السابق أن المؤلف يوظف الاتجاه الأيديولوجي للسلفيين ويخلط بين فهمهم وتصورهم للوحي وهو ما سمَّاه المخيال وبين الوحي نفسه كظاهرة دينية مستقلة، ويجب أن نفرق هنا بين الوحي كظاهرة مستقلة عن أفهام البشر وتحليلاتهم والصور التي تنعكس عندهم عن هذه الظاهرة، وبين تحليلات البشر وفهمهم لنصوص الوحي

7 Al-Misīrī, ʿAbd al-Wahhāb. (n.d.). *Mawsūʿat al-Yahūd wa al-Yahūdiyyah wa al-Ṣuhyūniyyah* (vol. 2). Miṣr: Dār al-Shurūq, p. 163.

8 Lakhlūfī, *Antharūbūlūjiyā Al-Nubuwwah: Al-Waḥy Fī Mutakhayyil Ahl Al-Ḥadīth*, pp. 3–5

وتفسيراتهم التي يضعونها على النصوص، على أننا لا يمكن أن نرفض كل التفسيرات التي وضعت على نصوص الوحي (القرآن والسنة) لأن الصحابة رضوان الله عليهم فسَّروا القرآن الكريم والسنة النبوية بناء على رؤيتهم لأفعال النبي ﷺ واستماعهم لأقواله ولم يجتهدوا برأيهم في تفسير القرآن الكريم، والملفت في رأي الكاتب أنه يدعو إلى إعادة قراءة تشكل الدين الإسلامي من خلال قصة بدء الوحي وكأنه يشكك في القراءة الموروثة للقصة والتي وردت في صحيح البخاري، والتي ذكر جزءاً منها في مقالته، ولم يلتزم بأدنى الأدبيات حتى مع النبي ﷺ إذ ذكر اسمه مجرداً دون الصلاة عليه فيقول: (في يوم من الأيام تحنث شخص اسمه محمد في مغارة قرب مكة، فاجئه كائن عجيب، لم يسبق له أن رأى مثله، فقال له ما قال وفعل به ما فعل ولنتذكر أن هذا الشخص لا يعرف لحد الآن شيئا عن كائن اسمه جبريل، فمن الطبيعي أن يقع خوف واضطراب على مستوى المشاعر، لكن أيضا حيرة وتشويش على مستوى الفكر؛ فالإنسان يعطي معنى للأحداث انطلاقاً من قاموس الدلالات المسبقة الذي يتم داخله إنشاء المعنى، في علاقته الجدلية مع الموضوع، ولما لم تتوفر لهذا الشخص تجربة خاصة سابقة في التعامل مع كائن من هذا القبيل، فإن فهم ما حدث سينهل من الإطار والقاموس الثقافي لصاحبها، وذلك فيما توفره الثقافة من إجابات عن أمور مماثلة، والتي يمكن أن نتلمس بعضها بالرجوع إلى المعطيات التاريخية للمنطقة قبل البعثة، والتي كانت غنية ومتنوعة، وتظهر الإيمان بآلهة وملائكة وبالجن والشياطين، التي كان الناس يتقون شرها أو يطلبون خدماتها، ثم استبعد ان يكون كائناً شيطانيا مستدلا بكلام خديجة رضي الله عنها)[9].

9 Lakhlūfī, *Antharūbūlūjiyā Al-Nubuwwah: Al-Waḥy Fī Mutakhayyil Ahl Al-Ḥadīth*, p. 6.

وأول ما نلاحظ في طرح الحداثيين لمسألة الوحي ومناقشتهم لها هي المسميات التي يطلقونها على المصطلحات القرآنية أو المصطلحات التي أطلقها الإسلام في هذا الصدد، وكأنهم يهدفون إلى فصل هذه المصطلحات عن بيئتها الأصلية، ومنشئها الأصلي الذي نشأت منه ليتوصلوا إلى إمكانية إعادة قراءة هذه الأصول بأفهامهم منفصلة عن الوحي الإلهي، ثم نفي الصلة الوثيقة بين هذه المصطلحات وبين قداستها وجعلها مادة عامة يمكن اخضاعها لأدوات العلوم الإنسانية، يقول محمد آركون واصفاً سورة الفاتحة: (ينبغي علينا أن نميز بين منطوقة أو عبارة أولى تخص الجمل التي تلفظ بها النبي حقيقة ضمن ظروف لا يمكن أن نعرفها أبداً، وبين منطوقة ثانية تخص النص المعطى لنا أو الذي وصل إلينا كتابة، والذي ينبغي أن نقرأه أو أن نتلوه تلاوة. ونقصد به نص الفاتحة الموضوع في رأس المدونة الكلية إن مفهوم الفاتحة يحيلنا أساساً إلى جميع القيم الشعائرية واللاهوتية واللغوية والسياقية، وهي قيم مدركة أو مسقطة على المنطوقة الثانية عن طريق تراث تفسيري طويل غير منفصل عن ممارسة دينية مركزية)[10]

فقد أطلق محمد آركون مسميات جديدة لا قبل للأمة بها من قبل ولا أحد استخدمها من قبل، فقد سمى المنطوقة أو العبارة اللغوية بدلاً من الآية القرآنية، وأطلق على القرآن الكريم المدونة الكلية، وهدفه من ذلك استخدام عبارات معاصرة لكي يتباهى بها في الغرب ولكي يدعي بعده عن التقليد، ويهدف منها أيضا إلى اجراء عملية فصل بين العبارات المعهودة عند المسلمين والأصول التي تربوا عليها وحفظوها والهدف من ذلك تخفيف حدة التوتر عند قراءة هذه النصوص في كتبه من قبل المسلمين وتعويدهم على

10 Arkūn, Muḥammad. (2005). *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī* (2nd ed.,). Beirūt, Lubnān: Dār al-Ṭalīʿah. p. 119

نمط جديد من الكتابة وتقبلهم لها وعدم غضبهم من هذا النمط فيسهل حينها تمرير هذه الأفكار على المسلمين، ان تركيزه على سورة الفاتحة بالذات أمر مستغرب، فسورة الفاتحة تعتبر من أهم سور القرآن الكريم لأنها تتلى في الصلاة يوميا وذكرها النبي ﷺ في الحديث أنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه من قبل ربه تبارك وتعالى، وهكذا رأينا كيفية تغيير المسميات واستبدالها بمسميات معاصرة لأهداف ليست بريئة.

يعود آركون فيخمن أن هناك ثلاثة بروتوكولات للمنطوقة كما سمَّاها بدلا من الآية القرآنية، إنه يفترض أن هناك فرقاً واضحاً بين قراءتنا للقرآن وبين قراءة النبي ﷺ له، لذلك هو يعتبر الآية لها قراءتان كما سماها المنطوقة الأولى والمنطوقة الثانية، ففي البروتوكول الأول يفترض أن القراءة طقسية شعائرية فيها يردد المسلم الكلمات المقدسة للفاتحة كما يقول، من وجهة نظر الوعي الإسلامي، والبروتوكول الثاني سماه البروتوكول التفسيري واختار نموذجا له تفسير فخر الدين الرازي، ثم البروتوكول الثالث وسماه البروتوكول الألسني النقدي، واعتبر فيها أن القرآن الكريم مثل التوراة والانجيل نصوص ينبغي أن تقرأ من خلال روح البحث والتساؤل لأنها يمكن أن تحبذ حصول التقدم الحاسم في ما يخص معرفة الإنسان[11]، ومن هنا رأينا كيف يخلط آركون بين الكلام من خلال دس شبهاته في ثنايا حديثه فإخضاع القرآن الكريم لعلم اللسانيات واعتباره في مرتبة واحدة مع التوراة والإنجيل شبهات يطرحها عله يجد آذاناً صاغية عند المسلمين ويخدع بكلامه فئة من المسلمين فتغير نظرتها للقرآن الكريم.

11 Arkūn, *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī*. pp. 120-121.

ولم يكتف بهذا القدر بل وقام بتوظيف مسألة حرب المشركين على القرآن الكريم ومعارضتهم لقبوله وكأنه يشيد بالتجربة القرشية في محاربة القرآن الكريم ورفضه حيث يطلق مجموعة من المفردات اللغوية ويبدع في طرحها في وصفه لجهود قريش في معارضة القرآن الكريم، حيث يقول:(إن كل المبادئ هي نتيجة سيرورة تاريخية طويلة من البلورة والتعليم والتلقين، ولكن قواعدها الأساسية في القرآن نفسه لم تقبل مباشرة من قبل معاصري محمد بن عبد الله عندما ابتدأ بتبليغ رسالته في مكة، كنت قد بينت في مقالة قديمة بعنوان " موقف المشركين من ظاهرة الوحي" كيف أن إمكانية حصول الوحي الإلهي كانت قد نوقشت بقوة هائجة ورفضت وأنكرت من قبل مجموعات معارضة عديدة في مكة، إن هذه الحقيقة الاجتماعية والسياسية والثقافية قد خلعت عليها الصبغة اللاهوتية فوراً وحولت من قبل الخطاب القرآني إلى موضوع للمماحكة الجدالية بين فئة المؤمنين الأوائل الصغيرة العدد، وبين الكفار الذين جحدوا الله ومبادرته الكريمة على هذا المستوى التاريخي نلاحظ أن الخطاب القرآني قد صيغ أو ركب لغويا بصفته جهدا ذاتيا مبذولاً لرفع نفسه إلى مستوى كلمة الله الموحى بها، هذا في حين أن المعارضين المكيين كانوا يرفضونه بوصفه كذباً أو اختراعا شيطانيا يرمي إلى تدمير التقاليد، والعقائد، والنظام الاجتماعي السائد، وينتهي به القول فيما بعد وهذا يعني أننا سوف نعلق أو نعطل كل الأحكام اللاهوتية التي تقول بأن الخطاب القرآني يتجاوز

التاريخ كلياً إلى أن نكون قد وضحنا كل المشاكل اللغوية والسيميائية[12] والتاريخية والأنثروبولوجية التي أثارها القرآن كنص)[13].

2- استبدال مفهوم الوحي.

يرى منظرو مؤسسة مؤمنون بلا حدود أنه يجب استبدال مفهوم الوحي المتداول بين المسلمين الذي توارثوه عن التصور التقليدي اللاهوتي بمفهوم الوحي التأويلي الذي يسوغه العقل البشري، وذلك من خلال صرف الاساطير الغابرة ويقصدون بها الأخبار والروايات، والطقوس الجامدة ويقصدون بها العبادات، والنظر للوحي على أنه موهبة يختص بها الانسان، سواءً كان نبيا أو عبقرياً، أو وظيفة للكائن سواءً كان بشراً، أم حيواناً أم جماداً، وجعل مضامين الوحي مضامين أخلاقية ومعنوية يقول محمد آركون:(نحن نهدف من خلال هذه الدراسة إلى زحزحة مفهوم الوحي وتجاوزه، أقصد زحزحة وتجاوز التصور الساذج والتقليدي الذي قدمته الأنظمة اللاهوتية عنه)[14]

ونلاحظ أن الحداثيين عندما يكتبون عن الوحي يصورون للناس أن هناك نظرتين أو رؤيتين متناقضتين لمفهوم الوحي الرؤية التقليدية التي تنظر إلى الوحي على أنه حقيقة خارج الواقع مستعلية عليه، توقيفية من السماء إلى أهل الأرض، والرؤية الأخرى هي

12- السيميائية هي دراسة الأنظمة الرمزية والثقافية التي تستخدم العلامات للإشارة إلى معانٍ وإنتاج تواصل بين الأفراد.

Chandler, Dānīyāl. (2010). *Al-Sīmīyāʾīyah: Muqaddimah Qaṣīrah* (Trans. Aḥmad Fahmī). Al-Qāherah: Al-Markaz al-Qawmī li al-Tarjamah, pp. 10–12,

13 Arkūn, *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī*. p. 21.

14 Arkūn, *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī*. p. 76.

الرؤية الحداثية المعاصرة، التي تنظر إلى الوحي نظرة مغايرة عن النظرة التقليدية، وتفسره تفسيرا معاصرا يتناسب مع المتغيرات التاريخية والفكر المعاصر، فقد اعتبر نصر حامد أبو زيد في كتابه "مفهوم النص"[15] أن النظرتين تمثلان منهجين مختلفين محددا هذين الاتجاهين بالاتجاه السلفي والاتجاه الحداثي وبالنسبة له الاتجاه الحداثي يمثل اتجاهه الماركسي في نظرته للأشياء.

يستخدم محمد آركون مفردات مشابهة للوحي في حديثه عن الوحي في كتبه[16]، فعلى سبيل المثال استخدم لفظ " الخطاب النبوي" بديلاً عن الوحي ويخلط في حديثه عدة متناقضات ويربطها بالخطاب النبوي من خلال الحديث عن النموذج الوجودي القرآني الأعلى، كأيقونة للصراع بين النبي ﷺ وأعدائه على حد قوله، الذي انتهى بالسيطرة على مكة والمدينة، ومن ناحية أخرى يربطها بعدة تناقضات مثل التصور والتصعيد والتسامي، والتحوير والثورة والتمرد والانتفاضة يقصد التصدي للأعداء " قريش وحلفائها واليهود"، وبعدها يرجع هذه القوة إلى الخطاب النبوي والغريب أنه ينسب قوة اللسان والسيميائية في الخطاب النبوي للتوراة والانجيل وعلى استحياء يذكر معهم القرآن الكريم لكي يخرج من الاتهام أنه ينسب الخطاب النبوي للتوراة والانجيل فقط فشمل معهم القرآن الكريم، ثم يرجع فيزعم أن الكتب الثلاثة الانجيل والتوراة والقرآن الكريم بينهم خصائص لغوية وسيميائية مشتركة، ثم يستخدم هذه الحجة وهي أن تميز الخطاب

15 Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid. (2014). *Mafhūm al-Naṣṣ: Dirasah fī ʿUlūm al-Qur'ān al-Karīm* Casablanca, Morocco: Mu'assasah Mū'minūn bilā Ḥudūd, Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, p. 29.

16 Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid. (2014). *Min al-tafsīr al-mawrūth ilā Naqd al-Khiṭāb al-Dīnī*, p. 78.

النبوي بالقوة هو سبب لجعله بديلاً عن الآراء اللاهوتية الشائعة عن مفهوم الوحي، ويرجع كلامه هذا لحجة واهية وهي أن الآراء اللاهوتية عن مفهوم الوحي تبلورت من قبل المفسرين في الطوائف الدينية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلامية، وانبثق عن هذه الآراء ذاكرات جماعية وتراثات دينية ثقافية ولغوية متصارعة فيما بينها.

يقول محمد أركون في موضع آخر:(هل يمكننا أن نتوصل في يوم من الأيام إلى تحرير الخطاب الديني بشكل عام والخطاب المنعوت والمتلقى على أساس أنه وحي بشكل خاص، من وظيفتيهما بصفتهما نطقا وتعبيرا عن سيادة الله المنقولة إلى سلطة الملك أو الامبراطور، أو الخليفة، أو السلطان، أو الرئيس، بعد أن وصلت في الحديث إلى هذه النقطة ينبغي أن أوضح للقارئ ما الذي سأفعله الآن بالضبط، أنا أخرج الآن أو أتخلص من نظام فكري قديم من غير أن أبالي بانعكاسات ذلك على ديني وتضاماتي التاريخية والثقافية مع طائفتي الإسلامية، ولكني أعرف أن جميع الطوائف الدينية الأخرى من يهودية ومسيحية معنية تماماً، وبالدرجة نفسها بالمسائل النظرية التي أثيرها الآن في ما يخص مفهوم الوحي، فهذه المشاكل تشكل تحديا أو ربما استفزازا للجميع، أقول ذلك ونحن نعلم أن مفهوم الوحي كان قد بسط وضيق وحط من قدره ثم أخيرا هجر من قبل العقل العلمي المستنير وترك ل " مسيري أمور التقديس" أي لرجال الدين في كل طائفة أو ملة، ما سأفعله الآن يتمثل فيما يلي: إنني أزحزح المسائل القديمة إلى إطار آخر مختلف تماما وأوسع بكثير إنني أزحزحها إلى إطار "الأشكلة التعددية"، والمتنوعة من

الوجوه لمفهوم الوحي المعقد جدا والذي لم يفكك بعد، أقصد مفهوم الوحي بصفته مرجعية إجبارية مشتركة لدى كل مجتمعات الكتاب المقدس/ الكتاب العادي)[17].

ثم يقول :(من المهم أن نبين كيف أن جميع الخطابات المشتقة من كلام الله الموحى، والهادفة الى تفسير أوامره ووصاياه وتطبيقها، قد ساهمت في تشكيل البنى الأنثروبولوجية للمخيال الديني، السياسي، الاجتماعي، إن تفكيك هذه البنى يقع على كاهل المؤرخ المحترف القادر على الحفر والتنقيب عن العمليات النفسانية، والثقافية والسياسية الناتجة عن تأثير الوحي، وقد فسَّر آركون مفهوم "أشكلة الوحي" بجعل الشيء إشكاليا بعد أن كان يبدو بديهيا أو تحصيلَ حاصل، فالوحي مثلاً، من لا يعرف الوحي؟ كلنا نتوهم أننا نعرف ما هو، ولكننا في الواقع حفظنا قصته التقليدية عن ظهر قلب منذ أن كنا أطفالاً، فيجب أولاً أشكلة الوحي، ثم الزحزحة، أي ثم التفكيك)[18].

نلاحظ من النص السابق تركيز آركون على ثلاثة من أدوات تغيير مفهوم الوحي في الفكر الإسلامي، الأداة الأولى هي أشكلة المفهوم أي إيهام القارئ أو المسلم أن هناك مشكلة في مفهوم الوحي أو مسألة الوحي ويهدف من هذه الأشكلة إلى تقديم حل لهذه المشكلة المزعومة والحل يكون بفلسفة المفهوم وتقديم صورة جديدة عنه وإحلالها محل الصورة التي سمَّاها تقليدية قديمة تعلمتها الأجيال منذ عهد الطفولة، ثم استخدم أداة الزحزحة كما سمَّاها، ويقصد بها زحزحة المفهوم من مكانته التقليدية إلى المكانة

17 Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid. (2014). *Min al-tafsīr al-mawrūth ilā Naqd al-Khiṭāb al-Dīnī*, pp. 27-28.

18 Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid. (2014). *Min al-tafsīr al-mawrūth ilā Naqd al-Khiṭāb al-Dīnī*, p. 28.

الجديدة التي سيضعه فيها من خلال تقديم فكر جديد عن الوحي وفلسفة جديدة، وينتهي أخيراً بالتفكيك أي تفكيك مفهوم الوحي عن مكانته الراسخة التي تبوئها في عقول المسلمين فهل بعد هذا التصريح العلني بالحرب على الوحي نستطيع أن نقول أن الحداثيين يحترمون الوحي أو لم يحرصوا على تغيير مفهوم الوحي وإدخال الشبهات على أفكار المسلمين بخصوص مسألة الوحي!

وبالنسبة لحسن حنفي وهو من أبرز الحداثيين في الساحة المصرية يعرف الوحي بأنه علم مستقل بذاته يستنبطه الإنسان ويضع قواعده وأصوله، لا هو بعلوم الدين ولا بعلوم الدنيا، هو علم المبادئ عقلية وطبيعية وشعورية ووجودية في آن واحد، ثم يذكر تعريفاً آخر للوحي بقوله:(مجموعة من الصور الإنسانية الخالصة، خاصة بأسلوب التعبير والمخاطبة دون وصف لواقع بل للإيحاء به وتوجيهه، وعرفه أيضاً على أنه المبادئ العامة في المعرفة الإنسانية ، ومجموعة البواعث التي تبعث على النشاط وتدفع إلى الحركة، وليست مجموعة من العقائد

الجاهزة للإيمان والتسليم بها)، نلاحظ من النظر في التعريفات السابقة للوحي أن حسن حنفي يحاول التركيز على النظر إلى الوحي على أنه جهد بشري قد حصله الإنسان من واقعه وقد فسر هذا الكلام بقوله:(مهمة الوحي تربوية محضة، والغاية منه تربية الإنسانية، وليس اعطاء عقائد أو إقامة شعائر أو مؤسسات فالوحي وسيلة لا غاية، ثم يقول العلمانية إذاً هي أساس الوحي؛ فالوحي علماني في جوهره والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور)[19].

19 Lasinj. (2006). *Tarbiyat al-Jins al-Basharī* (2nd ed.,). n.p., p. 121

وبلغة أخرى يحاول حسن حنفي القول أن الوحي هو مجموعة تجارب إنسانية خاضها الانسان في واقعه وأثرت في سلوكه وتربيته وشعوره، وقد جمع حسن حنفي نظرته للوحي في عدة محاور نلخصها هنا في ثلاثة محاور رئيسية، المحور الأول: اعتبار الوحي تجربة إنسانية مصدرها الإنسان، وليست ربانية مصدرها الله تعالى، وهذا يرجعنا إلى أن الحداثيين ومنهم حسن حنفي يحاولون أنسنة[20] الوحي، يقول حسن حنفي في كتابه دراسات إسلامية[21]: (والعقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يند عن العقل، ويمكن معرفة الأخلاق بالفطرة، فالوحي لا يعطي الإنسان شيئًا لا تستطيع الإنسانية أن تكتشفه بنفسها في داخلها، وأن مهمتنا أن ننتقل بحضارتنا من الطور الإلهي القديم إلى طور إنساني جديد، وتحويل قطبها من علم الله إلى علم الإنسان، إن تقدم البشرية مرهون بتطور من الدين إلى الفلسفة، ومن الإيمان إلى العقل، ومن مركزية الله إلى مركزية الإنسان حتى تصل الإنسانية إلى طور الكمال، وينشأ المجتمع العقلي المستنير).

3- القراءة الحداثية للوحي.

إن القراءة الحداثية لنصوص الوحي سواءً كان للقرآن الكريم أم السنة النبوية قراءة فوضوية هدفها تعويم القراءات التي يقرء الناس بها النصوص الموحى بها من عند الله تعالى، وقد أطلقوا عليها مسميات من قبيل القراءة "الحرة" والقراءة "المتسكعة"، ويدَّعون أن هذه

20 عرف أندري لالاند الأنسنة بقوله: (هي مركزية إنسانية متروية تنطلق من معرفة الإنسان وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته)

Laland, A. (n.d.). *Al-Muʿjām al-Falsafī* (Vol. 2) n.p., p. 569.

21 Ḥanafi, Ḥasan. (1905). *Dirāsāt Islāmīyah* Al-Qāherah: Maktabah al-Ānglū al-Miṣriyah, p. 127.

القراءة تجد البشرية كلها ذاتها فيها، ان الحداثيين يتطرفون في قراءتهم لنصوص الوحي إذ يعدونها قراءة للإنسانية على حين أنهم يحاربون الإنسانية ويظلمونها من حيث يدرون أو لا يدرون، يقول محمد آركون:(فيما يتعلق بالقرآن بشكل خاص، فإن سأدافع عن طريقة جديدة، في القراءة، طريقة محررة في آن معاً من الأطر الدوغمائية الأرثوذوكسية ومن الاختصاصات العلمية الحديثة. التي لا تقل إكراها، وقسراً إن القراءة التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات إنها قراءة تجد فيها كل ذات بشرية نفسها، سواء أكانت مسلمة أم غير مسلمة. أقصد قراءة تترك فيها الذات الحرية لنفسها ولديناميكيتها الخاصة في الربط بين الأفكار والتصورات انطلاق النصوص مختارة بحرية من كتاب طالما عاب عليه الباحثون فوضاه، ولكنها الفوضى الذي تحبذ الحرية المتشردة في كل الاتجاهات)[22].

4- إحلال العقل بدلا من الوحي.

من أهم وسائل الحداثيين في مواجهة الوحي والنصوص الدينية هي إحلال العقل محل الوحي في محاولة منهم لحذف وجود الوحي وجعله ثانوياً في مسألة التشريع وفهم القرآن الكريم وفهم نصوص السنة ثم مسألة التطبيق في الواقع العملي في الحياة، يقول حسن حنفي في كتابه التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم:(مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها، سلطة الماضي، وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل ولا سلطة الا لضرورة الواقع)[23].

22 Ārkūn, Muḥammad. (2007). Al-Fikr Al-Uṣūlī Wa Istiḥālat Al-Taʾṣīl. Beirūt: Dār al-Sāqī. p. 76.

23 Ḥanafī, Ḥasan. *Al-Turāth wa al-Tajdīd*. p. 45.

وقد صرح كثير من الحداثيين أن البشرية ليست بحاجة للوحي، ويجب أن تؤمن البشرية بالعقل بدلاً من الوحي، وأن البشر غير مضطرين لقراءة القرآن الكريم والعمل بأحكامه، وإذا تعذر ذلك لا بد من قراءته وفق النظريات الغربية الحداثية، يقول محمد آركون:(إذا كنا مجبرين على قراءة نص ما، فإننا نحتاج أولاً إلى نظرية عامة عن الشيء الذي ندعوه بالنص، وهناك ثلاثة بروتوكولات متداخلة أو متفاعلة لقراءة القرآن الكريم كنص ضمن ذلك المنظور: القراءة التاريخية الأنثروبولوجية، القراءة الألسنية السيميائية، القراءة اللاهوتية التفسيرية، ومن الناحية المنهجية يجب القول بأن القراءة اللاهوتية التفسيرية لا ينبغي أن تحصل إلا بعد إجراء القراءتين الأوليين، وبناء على الأسس النقدية الجديدة المستخلصة من قبلهما. وهذا يعني أنه ينبغي تفكيك كل القراءة التقليدية التي لا تزال مهيمنة حتى الآن لأسبابٍ سياسيةٍ أساساً، وأقصد بها القراءات المحصورة داخل بروتوكول الإيمان، ينبغي تفكيكها ثقافياً وفكرياً)[24]

وقد أسس الحداثيون نظرتهم للوحي على خطة العقلنة، أو التعقيل وهدفهم من هذه الخطة رفع حاجز " الغيبية" الذي يتمثل في اعتقاد أنَّ القرآن الكريم وحي وارد من العالم الغيبي، ويقومون بإزالة هذا الحاجز من خلال التعامل مع القرآن الكريم بجميع الطرق التي توفرها النظريات الحديثة والمنهجيات المعاصرة، يقول محمد آركون:(لكننا نعتقد أن أي نقد حقيقي للعقل الديني ينبغي أن يتمثل في استخدام مصادر المعقولية والتفكير التي تقدمها لنا علوم الإنسان والمجتمع من أجل زحزحة إشكالية الوحي من النظام

24 Arkūn, *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī*. pp. 39–40.

الفكري والموقع الابستمولوجي الخاص بالروح الدوغمائية، إلى فضاءات التحليل والتأويل التي يفتتحها الآن العقل الاستطلاعي الجديد المنبثق حديثاً)[25].

5- استبدال مصطلحات القرآن الكريم المستمدة من الوحي.

قام حسن حنفي ومجموعة من منظري مؤسسة مؤمنون بلا حدود باستبدال مصطلحات القرآن الكريم بمصطلحات فلسفية حداثية عند حديثهم عن الوحي والقرآن الكريم والألفاظ العقدية الدينية، فهذه المصطلحات تمنح التوقير للتراث الديني العقدي وحفظ مكانة القرآن الكريم والاعتزاز به كدستور للأمة الإسلامية، ويحاول الحداثيون محاربة القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال تفكيك ما يتعلق بهما من متعلقات ومصطلحات ومحاور في الحياة الواقعية، يقول حسن حنفي:(إنهم استطاعوا التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة من إله ورسول وثواب وحساب وعقاب وملاك وشيطان وهي اللغة المغلقة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، واستعمال لغة أكثر عقلانية، وانفتاحا وإنسانية يمكن لأي فرد أياً كانت ثقافته أن يعقلها، مثل: الإنسان والعقل والنظر والعمل، والفضيلة، ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء وألغينا التطور، وآثرنا لغة اللاهوت المغلق على لغة الفكر المفتوح)[26].

والظاهر أن سبب هذه الهجمة الشرسة على الوحي وقدسية الوحي اسقاط القداسة عن كل مقدس لا ينزل تحت النقد، ليصبح في ميدان النقد ومتاحاً للنقد من قبل الجميع،

25 Arkūn, *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī*. pp. 39–40.

26 Ḥanafī, Ḥasan. *Al-Turāth wa al-Tajdīd*. p. 157.

وإخضاع المقدس لجعله تحت سيطرة الانسان ليسائل جميع العقائد والتشريعات، من أجل تجديد الفكر الديني دون هيمنة من الفكر التقليدي الرجعي على حد وصف " مؤسسة مؤمنون بلا حدود"، ليتناسب هذا الفكر مع التقدم الحضاري والواقع المعاصر، ويقصدون بهذا القول في المسائل الجدلية التي أثيرت لاحقا مثل مسألة المرأة وتطبيق الحدود ومسائل الحاكمية وتحكيم الشريعة الإسلامية.

إنَّ الهدف من كل هذه الثورة على الوحي الإلهي هي ثورة على العقيدة الإسلامية لاجتثاثها من الوجود فالفكر الحداثي يقرر في عدة محافل وكتب ومقالات بأن العقيدة الإسلامية (هي قضية طارئة متحركة وهامشية لا تمثل ركناً مقوما لشخصية الانسان، كما هي قضية اللون والمكان واللغة والمال والمهنة، والفن والذوق والأدب كلها هامشية).[27]

6- خلاصة نظرة المؤسسة لمسألة الوحي: تعاملت المؤسسة مع الوحي من خلال عدة محاور:

أولاً: الألسنية:

التعامل مع الوحي ونصوصه على أنه خطاب لغوي ليس له علاقة بالخطاب الإلهي، وينتج عن هذا القول اعتبار نصوص الوحي كأي نص آخر يخضع للفحص والتدقيق

27 Al-Qubānjī, Ṣadr al-Dīn. (2009). *Al-Islām wa Ishkālīyāt al-Ḥadāthah.* (1st ed.) Najaf, Iraq: Al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, Wahdat al-Dirāsāt wa al-Buḥūth, p. 155.

من خلال الأدوات المختلفة التي استخدمها النقَّاد مع الكتب المقدسة الأخرى ونزع صفة القدسية عن الوحي.

ثانياً: الأنسنة:

وتعني اعتبار الوحي خطاباً إنسانياً بحتاً ليس له صبغة ربانية، ونتيجة لهذا الأمر يفقد هذا الخطاب صفة العلو والرفعة، يقول علي حرب أحد الحداثيين ممن تنشر لهم المؤسسة:(والوحي الإسلامي إنما نطق به نبي عربي بمقتضى لسان العرب، أي بحسب ترتيبهم لوجوه الكلام وطريقتهم في إنتاج المعنى واستخدام الدلالة، فهو إذن خطاب عربي، فضلاً عن حيثياته أو بالأحرى إحداثياته- أي أسباب نزوله- تحيل دوماً إلى أحداثٍ تقع في التاريخ وإلى ذواتٍ مشدودة إلى الزمان والمكان، من هنا إناسية الوحي وزمنيته، وهو يدعي أن المفسرين تعاملوا معه على هذا الأساس حين توسلوا باللغة لفهم مراد النص، فكأن المعيار بالنسبة لهم نحوي بياني، وهو بهذا المعنى إناسي لأنه يختص بثقافة قوم من الأقوام ولغتهم ورؤيتهم للعالم)[28]

ثالثا: التاريخانية:

فاعتبر الحداثيون أن الوحي ظاهرة تاريخية محددة بوقت محدد ولا يمكن سحبها على جميع الأزمان يقول علي حرب:(والمشكلة لا تحل بإيضاح معنى الأسطورة كما لا تحل بالقول إننا نستلهم القيم الروحية للإسلام، أو إننا لا نهدف إلى نزع صفة الوحي أو

28 Ḥarb, ʿAlī. (2005). *Naqd al-Naṣ*. (4th ed). Beirut: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, p. 77.

القداسة عن النصوص، فكيف نقرأ النصوص قراءة نقدية تاريخية ونزعم أننا لا ننزع عنها صفة التعالي والقداسة؟! لا مجال إذاً للمداورة والالتفاف، بل الأحرى والأولى مجابهة المشكلة بدلاً من الدوران حولها، والحل يكون في البرهنة على أن قراءة القرآن! لم تكن يوماً ولا يمكن أن تكون إلاَّ تاريخيةً مادام الإنسان لا ينفك عن تاريخيته وزمنيته)[29]

رابعا: نسبية الوحي:

يعتقد الحداثيون بعدم أحقية أي ديانة بالصدق ويرون أن جميع الأديان فيها نسبة من الصحة فليس هناك إسلام صحيح وإسلام خاطئ حسب زعمهم، وأن القرآن! ذو لغة مجازية عالية ككل الكتب الدينية، كان ينفتح منذ البداية على عدة تأويلات تاريخية.

يعتقد الحداثيون بوجود نوعين من الوحي، الوحي المتعالي، والوحي المتجسد، وهم في هذا التقسيم يوافقون المعتزلة في قولهم بخلق القرآن الكريم، يقول محمد آركون:(القرآن نفسه يلح على وجود كلام إلهي أزلي لا نهائي محفوظ في أم الكتاب، وعلى وجود وحي منزل على الأرض بصفته الجزء المتجلي والممكن التعبير عنه لغويا والممكن قراءته هذا التمييز بين نوعين من الوحي، أو بين مستويين من الوحي بالأحرى موجود في نظرية المعتزلة القائلين بخلق القرآن ولكنه عمليا مشطوب أو غائب عن التصور الشائع عن القرآن بصفته كلام الله والوحي والكتاب المقدس والشريعة الإلهية في وقت واحد. إن الفكرة القائلة بأن الوحي قد أعطي كل من قبل الله وأرسل إلى البشر عبر الأنبياء والملائكة، أصبحت بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين التصور العضوي المركزي للدين

29 Ḥarb, *Naqd al-Naṣ*. (4th ed). p. 77.

الحق، ينبغي القول بأن المسلمين يضيفون إلى ذلك أن الآيات المعبر عنها في القضية. تمثل الكلام الأصلي والتركيب النحوي لله نفسه)[30].

ويبدوا أن التحدي الأكبر لدى الأمة لمحاربة مثل هذه الأفكار هو تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين لأن هذه الخطابات تسعى لخلق فهم جديد للإسلام وهناك تأثر كبير من قبل الشباب خاصة، ومن الأمثلة على ذلك النصوص الشرعية التي تدعوا إلى مراجعتها وإعادة قراءتها وتفسيرها مما يمس العقائد وأصول الدين بشكل مباشر، واعتبار التمدن أعلى من الوحي، والسعي لتثبيت مفهوم جديد للوحي والنبوة غير مفهومهما اللذين عرفهما المسلمون، كما تكلم غير واحد من الباحثين المعتمدين في المؤسسة كتبا ومقالات عدة ترسخ هذه المفاهيم، مثل عبد الله العروي وعبد المجيد الشرفي وحسن حنفي ومحمد عابد الجابري وغيرهم، والخطر الأعظم يكمن أيضا في استقواء أصحاب هذه الخطابات بالسلطة الحاكمة لإقصاء كل ما هو ديني وكل من يدعو إلى الإسلام في البلاد العربية والاسلامية. والذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع، دراسته من وجهة نظر إسلامية فهو موضوع مفصلي في هذا الصدد، واخترت الكتابة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود بسبب ارتباط الموضوعات التي تطرحها المؤسسة بموضوع الدراسة، ومعظم المواد التي سأقوم بدراستها والاستفادة منها هي من المواد المتوفرة على موقع المؤسسة على الانترنت، وقد استفدت كثيرا من عدة مراجع في هذا الشأن مثل التأويل الحداثي للتراث، واستفدت أيضا من مصادر الاتجاه الحداثي نفسه مثل في اطلاعي على الشبهات المثارة في المسائل العقدية من قبل مؤلفيها مثل محمد عابد الجابري، وهشام

30 Arkūn, *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī*. pp. 17-18.

جعيط، وعبد الله العروي، حسن حنفي وغيرهم، وهؤلاء من الكتَّاب الناشطين على موقع المؤسسة ولهم مقالات وكتب كثيرة تتبناها المؤسسة وتنشرها.

3. رفضهم القرآن الكريم كمصدرٍ للتشريع الإسلامي

يعتقد الحداثيون ممثلون بمؤسسة مؤمنون بلا حدود أنه على المسلمين تجديد التشريع الإسلامي ومصادره ففي أحد استعراضه لكتب المستشرقين يستشهد الكاتب عروسي لسمر في استعراضه لكتاب المستشرق الإنجليزي (ن. ج. كولسون) بكلام المستشرق في التدليل على الجمود الذي يرافق التشريعات الإسلامية حيث يختم المستشرق كتابه بالتوصل إلى أنَّ "الصياغة التشريعية الحالية للأحكام الشرعية والتي أسسها علم الفقه أدت إلى ازدواجية تشريعية في القانون، ويقول أنه مع وضوح الاستفادة من القوانين الغربية في القانون الجنائي والمدني فإن الأحكام الشرعية التقليدية مازالت مهيمنة على مجال الأحوال الشخصية، واعتبر أن كثيرا من التجديدات في الأحكام التشريعية تبدو حلولاً مؤقتة – وكأنه يريد أن يأتي التجديد على كل الدين- ولا يعني هذا الحل المؤقت انكار فعالية التحديث بقدر ماهي مسايرة التطور الحضاري الذي تمر به المجتمعات الإسلامية واليقين بعدم قدرة المقررات التقليدية على مواكبة التطور التاريخي، وظل التشريع الإسلامي يواجه مشكلة أساسية قديمة ومتجددة تتمثل في الحاجة إلى تحديد العلاقة بين المعايير والقيم التي يمليها الإيمان الديني، ومتطلبات الحياة المادية المحركة للمجتمع."[31]

31 Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā Ḥudūd lil-Dirāsāt wa al-Abḥāth. (n.d.). *Tārīkh al-Tashrīʿ al-Islāmī li-l-Mustashriq N. J. Koulson: Tārīkhīyat al-Tashrīʿ am Imkāniyat al-Tahīn*. Retrieved from https://www.mominoun.com.

نلاحظ من النص السابق التركيز على فكرة تجديد مصادر التشريع الإسلامي، وإمكانية ادخال التحديث على مصادر التشريع الإسلامي واعتبارها شيئا يخضع للتغيير والأخذ والرد، فانزال مصادر التشريع الثابتة في الدين الإسلامي مكان المتغيرات مسألة خطيرة جداً وتؤدي إلى التلاعب في الأحكام الشرعية وتقويض الدين، لا سيما أن الحداثيين يصفون مصادر التشريع الإسلامي بأنها مقررات قديمة، وأنها غير قادرة على مواكبة التطور الحضاري، ويركز الكاتب في النص السابق على عدم قدرة المصادر التشريعية على الموائمة بين المعايير والقيم ومتطلبات الحياة المادية في المجتمعات الإسلامية وهذه مشكلة أخرى يثيرون حولها الشبهات باهتمامهم الطاغي بالجانب المادي على حساب القيم والتربية الايمانية.

ويقول محمد الخرَّاط الكاتب في المؤسسة والذي تنشر له المؤسسة عدة مقالات وكتب في أحد مقالاته على موقع المؤسسة الالكتروني محاولاً إثبات أن المعنى الاصطلاحي لمفردة الشريعة لا يفيد معنى التشريع وإنما يفيد معنى المنهج، وقد قاس الكاتب هذا المعنى وشبهه بمعنى السنة وأنهما خرجا من سياق المعجم فيقول: (الحقيقة أن لفظ "شريعة" شأنه شأن كثيرٍ من المفاهيم الدينية والفقهية تعرض لعملية انزياح دلالي أثناء التأصيل، وأثناء الجدل الكلامي والفقهي الذي عرفه التاريخ الإسلامي المشحون؛ ذلك أن لفظ "السنة" مثلاً خرج هو أيضا من سياق المعجم في دلالته على الطريق عموماً أو على مجرى الماء ليدل بعد ذلك على الطريق القويم المقترن بمنهج النبي، فخرج من الحركة إلى الثبات ومن الحسية إلى التجريد، " لاعتبارات مذهبية عقائدية ولغوية تبدلت أساساً من خلال التفاسير التي ثبتت دلالة السنة في معنى المعيارية في حين أن اللغويين وإن لحقهم تأثير حركة تثبيت معنى اللفظ خصوصاً بعد القرن الثالث، فإنهم حافظوا عموماً

على التعدد الدلالي الذي كانت تمثله كلمة السنة في أصل تداولها اللغوي عند العرب" وهكذا كان شأن الشريعة فقد تأسس لها في علم التصوف مقابل هو الحقيقة، وتأسس لها في الفلسفة مقابل هو الحكمة، كما تأسس العقل مقابلاً للشرع في الكلام لكن الشريعة التي نسبت إلى الفقهاء وأصحاب السلطة كانت بالمرصاد لكل من ينال من هيبتها وسطوتها على النفوس، مما اضطر بعض المتصوفة إلى القول بأن الشريعة للعامة من أصحاب الظاهر، أمَّا أهل الباطن من المتصوفة، فهم منقطعون إلى طلب الحقيقة عبر الاتصال بالله مباشرة دون وسائط للعبادات، إذن لا وجود للمعنى التشريعي في كلمة "شريعة" لا في الشعر الجاهلي ولا في القرآن ولا في الحديث النبوي. واعتبر الكاتب قاطعا في الأمر أن هناك كثيرا من القرائن التي تدل على أن مصطلح " الشريعة" أصبح متداولا بمعنى فقهي وتشريعي ما في زمن تميَّز بالجدل الديني العائدي بين المذاهب والفرق الإسلامية من جهة، وبين هذه الفرق والمذاهب وأصحاب الأديان والنحل غير الإسلامية من جهة أخرى، ومن الأسباب التي ذكرها الكاتب لتبنيه هذا الرأي: أولاً: أن الجدل الديني والعقائدي يستلزم بصورة أو بأخرى الحديث عن التشريع والشرائع بياناً أو مقارنة توسعا أو تأصيلا، ثانيا: أن لفظ " شريعة" كان من المصطلحات اللصيقة بالفكر اليهودي، حيث يشير اليهود الى شريعتهم بلفظ توراة، وتعني في اللغة قانون، ثالثاً: أن كلمة "شريعة" كانت تشير إلى قوانين شعوب أخرى قبل الإسلام مثل القوانين الرومانية، ويرجع الكاتب هذه الأسباب لظهور الانشقاقات في صفوف المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وظهرت الفرق والمذاهب وكثرت الفتن، ويعلل ذلك أيضاً بدخول عدد كبير من اليهود والنصارى في الإسلام في مطلع القرن الثاني للهجرة،

وكانت لديهم رواسب من اديانهم القديمة فبثوها ونشروها بين المسلمين على حد قول الكاتب[32].

ويهدف الفكر الحداثي من خلال طعنه في مصادر التشريع الإسلامي إلى الدعوة لإعادة قراءة هذه المصادر وإعادة فهمها وتفكيك نصوصها وفصلها عن النسق الذي فهمت ضمنه، وذلك من خلال محاولة اثبات تاريخانية النصوص الشرعية وأن هذه النصوص وما تحتوي عليه من أحداث هي رهينة الجغرافيا التي نزلت فيها في زمنها القديم ولا يلزم المسلمين في العصر الحديث الأخذ بها وتطبيقها ثم إنهم يحاولون تفكيك القداسة عن مصادر التشريع الإسلامي، وتفكيك التصور الإسلامي عن مكانة القرآن الكريم، والوحي من خلال تقويض القرآن الكريم في نفوس المسلمين.

ويدعي محمد آركون عدم القدرة على تطبيق مصادر التشريع الإسلامي ولم يورد دليلا واحدا على ذلك، بينما هناك شواهد كثيرة تدل على أن هذه المصادر طبقت وعمل بما فيها زمن النبي ﷺ والأزمان التي بعده ومنها على سبيل المثال لا الحصر اجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة، وإجماعهم على وجوب تنصيب خليفة للمسلمين، ثم إن المؤلفات الكثيرة التي يزخر بها علم الفقه الإسلامي تدحض هذه الحجة الواهية، أما بالنسبة لتجاهل الاجماع من الأصل كمصدر من مصادر التشريع فقد تجاهله بعض الحداثيين كجمال البنا فإن الاجماع وفق قوله لا يندرج ضمن الأصول المرجعية للتشريع الإسلامي لأن هناك مرجعين أساسيين هما القرآن والسنة المنضبطة بالقرآن والحكمة المنبثقة من العقل فقط.

32 https://cutt.us/N770n

4. التأويل

مركزية التأويل لنصوص القرآن الكريم عند مؤسسة مؤمنون بلا حدود

1- طبيعة التأويل عند المؤسسة:

تحتل مسألة تأويل نصوص القرآن الكريم مكانة مركزية مهمة في فهم "مؤسسة مؤمنون بلا حدود" وفكرهم في فهمهم للقرآن الكريم، والتأويل الذي نعنيه هنا ليس التأويل المتفق عليه بين العلماء والباحثين فالتأويل الذي نعرفه ويعرفه الوسط العلمي هو كما قال زكريا بن فارس في معجمه: (الهمزة والواو واللام أصلان ابتداء الأمر وانتهاؤه، ويعني عاقبة الكلام وما يؤول إليه المعنى ويرجع، قال تعالى:(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) [الأعراف:52]، يعني ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم)[33]، ومن هنا كان معناه النظر في ما وراء المعنى بعد فهمه وتدبره، أمَّا التأويل الذي تريده المؤسسة فهو تأويل غير منضبط بالمعنى الأصلي للتأويل المحمود في التدبر في آيات القرآن الكريم، فقد استخدمت المؤسسة لفظ (الهرمينوطيقا) للدلالة على لفظ التأويل في معظم الأحيان، يقول (غسان اكويندي) في مقالة له على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود أرجع أصل الهرمينوطيقا إلى أسطورة هرمس في الفكر الإغريقي (يعود أصل الهرمينوطيقا في الفكر الغربي إلى أسطورة الآلهة هرمس التي تشير الدلائل إلى أنها انحدرت مباشرة من الحكمة المصرية القديمة، حيث نجد التأكيد أن تحوت أو هرمس مثلث العظمة هو رسول الآلهة

33 Ibn Fāris, Aḥmad bin Zakariyyā al-Qazwīnī al-Rāzī. (1979). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah* (Vol. 1). Damascus: Dār al-Fikr, p. 162.

إلى البشر)[34] وارتباطها بعد ذلك بالكنيسة حيث فرضت الكنيسة سلطتها الدينية في العصور الوسطى في أوروبا:(يمكن القول إذاً، إن عودة العلوم الإنسانية إلى دائرة الهرمينوطيقا هي بمثابة عودة المياه إلى مجراها الطبيعي، حيث تعتبر الهرمينوطيقا علما لتأويل النصوص كيف ما كان نوعها وطبيعتها، لأن غايتها الأساسية هي الكشف عن المعنى، هذا الأخير الذي لا يمكن أن يتحقق بشكل سليم إلا إذا تمكنت الهرمينوطيقا من خلق علاقات متبادلة ومنسجمة بين الميتافيزيقا والأنطولوجيا والابستيمولوجيا والفينومينولوجيا وهذا ما يستدعي التأكيد على أهمية مبدأ التطبيق الذي يعني الانتقال من النص إلى الفعل عبر أو بواسطة العقل؛ بمعنى استحضار الواقع بكل أحداثه ومعطياته في عملية التأويل؛ فالواقع إذن يصبح هو دليل التأويل وبرهانه)[35]

اعتبر الكاتب في مؤسسة مؤمنون بلا حدود التأويل في النص السابق ويقصد بالطبع التأويل في القرآن وسمَّاه (الهرمينوطيقا) شيئاً واجباً لفهم القرآن الكريم، وأنَّ التأويل هو الأمر الطبيعي الذي لابد منه لفهم القرآن الكريم، لكنَّ السؤال الذي نريد طرحه عليه هل يقصد بالتأويل الذي ادعى أنَّه لازم لفهم القرآن الكريم التأويل العادي الذي نعرفه والذي يبحث في ما وراء المعنى كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها(أن النبي ﷺ كان يتأول القرآن فيُكثِرُ أن يقولَ في ركوعِه وسُجودِه: سبحانك اللَّهُمَّ رَبَّنا وبحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي)[36] فإذا مر بآية فيها عذاب دعا الله أن ينجيه منه وإذا مر بآية فيها استغفار استغفر، أي التطبيق العيش مع القرآن الكريم بحياة، بقلب حي يتفاعل

34 Quindī, Ghassān. (2022). *Mā al-Tāʾwīl: Mulāḥaẓāt fī ʿIlm al-Tāʾwīl.* Al-Maghrib Al-ʿArabī: Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā Ḥudūd, p. 4.

35 Quindī, *Mā al-Tāʾwīl: Mulāḥaẓāt fī ʿIlm al-Tāʾwīl*, p. 4.

36 Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl. (n.d.). *Sahīḥ al-Bukhārī* (ḥadīth no. 817).

مع القرآن الكريم، لا أعتقد أنَّه يقصد هذا المعنى فقد وضَّح هدفه بعدها بقوله:(يظهر علم التأويل في الفكر العربي كمطابق أو مرادف لمفهوم الهرمينوطيقا الغربي، إذ يبرز كأحد المصطلحات المقترحة لترجمة لفظة هرمينوطيقا)[37]

وقد قام قسم التحرير في " مؤسسة مؤمنون بلا حدود" بتعريف الهرمينوطيقا أنَّها عملية الكشف عن الغموض الذي يكتنف شيئاً ما، أو اعلان رسالة وكشف النقاب عنها، وربطوا بين هذا المفهوم وبين هرمس، واعتبروه وسيطاً بين المفهوم والاسم من خلال قيامه بشرح مضمون النص وتوضيحه للمخاطب به، رسول الآلهة عند الاغريق، حتى وصل الأمر ببعض الباحثين بتغيير المفهوم من الهيرمينوطيقا إلى الهرمنوسية. وهذه المحاولة لربط مفهوم التأويل أو كما أطلقوا عليه (الهرمينوطيقا) بآلهة الاغريق هي محاولة لربط التراث الإسلامي بالحضارات الوثنية البائدة، وقد وجدت هذه المحاولات صدىً عن بعض الحداثيين حيث اشتغلوا على تقنية التوفيد أي أن الإسلام تأثر بحضاراتٍ وثنية وافدة سابقة عليه، وهذا محض افتراء لا يمكن تصديقه، حيث أن توفيد مصطلح معين كان سائداً في الحضارات السابقة واستخدامه وتنزيله على نصوص القرآن الكريم بحجة أنه استخدم في تفسير وفهم الكتب المقدسة أمر غير مقبول بسبب اختلاف القرآن الكريم عن الكتب المقدسة للديانات الأخرى وتراث الحضارات الأخرى، يقول قسم التحرير في مقالة له على موقع المؤسسة:(والهرمينوطيقا تعبر عن الجهود الفلسفية والتحليلية التي تعنى بمشكلات الفهم والتأويل والتفسير، واستخدام المصطلح ضارب في

37 Al-Bukhārī, *Sahīḥ al-Bukhārī* (ḥadīth no. 817).

القدم، إذ نشأ في دوائر الدراسات اللاهوتية في إشارة إلى جملة القواعد والمعايير التي ينتجها المفسر في فهم النص الديني" الكتاب المقدس")[38]

2- تصنيف التأويلات في فكر المؤسسة:

إنَّ أي محاولة للخروج عن تأويلات المؤسسة، أو بالأحرى طريقتها في تأويل النصوص والتعامل معها وخاصة نصوص القرآن الكريم تعد محاولة مخالفة للتأويل الصحيح الذي هو بالطبع حسب زعم المؤسسة منحصرٌ بتأويلهم فقط، ثم إنهم يعتبرون عملية التأويل عند غيرهم من المخالفين تندرج تحت حركات الإسلام السياسي حيث أطلقوا عليها مسمَّى النخب الدينية، واتهموها بالعداء والتكفير لكل من يحاول إعمال العقل واستخدام الأدوات الغربية والمناهج الغربية في التعامل مع النصوص مثل التفكيكية والبنيوية المعاصرة، وأخيراً اعتبروا هذه التأويلات التي تقوم بها هذه النخب الدينية مخالفة للقراءة المألوفة في الثقافة الأرثوذكسية، وسأستعرض هنا تحت هذا العنوان نقد المؤسسة لمحاولات التأويل الخارجة عن فهمها.

تصنف المؤسسة أيَّ تأويل لنصوص القرآن الكريم لا يتبع منهج المؤسسة ولا يوافقه ضمن تأويل الخطاب المغلق، وقد بيَّنوا صفات هذا الخطاب بأنَّه يعمل على نفي تاريخية النصوص الدينية، لأنَّهم يتمسكون بصفة التاريخية للنصوص الدينية تمسكاً شديداً لذلك اعتبروا أي تأويل لا يتطرق لتاريخية النصوص الدينية تأويلاً مناقضا للحقيقة وللتأويل الصحيح، والأدهى من ذلك أنَّهم وصفوا هذا الخطاب المغلق الناتج عن هذا النوع من

38 Maktabat al-Tahrīr, Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. (2014, February 26). Retrieved from https://2u.pw/NEcPuUsg

التأويل بالخطاب الأرثوذكسي، يعني أنهم يشبهون بعض الاتجاهات في الفكر الإسلامي بالنصارى في قياس خطابهم الديني على خطاب النصارى، ومنه الى اتهامهم بالفكر الأصولي المنغلق، إذاً استخدمت المؤسسة قضية تأويل نصوص القرآن الكريم من أجل الوصول إلى الخصومة الفكرية والسياسية مع الاتجاهات الإسلامية وحركات الإسلام السياسي وهذا باب من الأبواب وجزء من إجراءات متعددة تقوم عليها المؤسسة لنشر أفكارها ومناهجها، يقول الحداثي محمد سويلمي في مؤسسة " مؤمنون بلا حدود": (لقد عمل الخطاب الديني على نفي تاريخية النصوص في مستويين: تشكلها وانبثاقها أولاً، وتأوّلها واستنطاقها ثانياً، فالمنظومة المعرفية الدينية موسومة بالكمال والاكتمال معاً بما يجعلها نسقاً مغلقاً في حقائقها ومفاهيمها وناجزاً لا تجوز مراجعتها أو اعتوارها بالقراءة والاستنطاق المتجدد، وكأنَّما هذا الدين الدين التام المكمَّل الذي بلَّغه الرسول ﷺ إلى الناس كافة لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصول الملة وفروعها ولا نقصاً منها ولا تغييراً ولا تبديلاً، فالخطاب الأرثوذكسي قد ألغى كل الإمكانات التأويلية التي تجود بها النصوص وجهزها بحشود دلالية مخصوصة ومنتهية تتوافق وأيديولوجيا قوى الهيمنة الثقافية والمادية فتحول النص من مشروع تأويلي منفتح إلى كون دلالي رسمي ومضبوط لا يأبه بمفاعيل البيئة الثقافية ولا إكراهات السياق الاجتماعي ولا دواعي الفعل التاريخي في البشر والأفكار والمجال في إذعان عجيب لسحر المعاني)[39].

3- ما تفرَّع عن التأويل عند المؤسسة:

39 Suwaylimī, Muḥammad. (2019). *Al-Muʾassasah al-Dīnīyah wa al-Taʾwīlāt al-Mārīqah: Al-Shakk khuṭīʾah ʾīmānīyah wa maʿrifīyah*. Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. Retrieved from https://2u.pw/D7wW7llb

اعتبرت المؤسسة في حكمها على تأويلات المخالفين لها في الفكر أنَّ التأويل له تفرعات في الفكر والتطبيق، فأخذوا يقلدون الكتَّاب الغربيين في وصفهم لأفكار المسلمين والحكم عليها في المجتمعات العربية والإسلامية، فاعتبرت المؤسسة أن التأويل يتفرع عنه في الحياة العملية عند المخالفين لفكر المؤسسة أمور عدة منها التسليم والانقياد النفسي والروحي والاعتقادي والإذعان السلوكي والعملي، واستعملت المؤسسة في هذا السياق مصطلحاً استخدمه الكاتب الغربي بورديو (P.Bourdieu) وهو (الدوكسا)، (Doxa)، وهي العقيدة العملية الناتجة عن المسلمات اليقينية في فكر الفرد، ومن هنا اعتبرت المؤسسة على لسان كتَّابها أنَّ التأويل المخالف لتأويل المؤسسة تحوَّل إلى بديهيات ومسلمَّات عند أصحابه حتى غدا حقائق دينية مسلَّم بها، معتقدين أن أصحاب الفكر المخالف حوَّلوا الاعتقادات البشرية إلى اعتقادات فوق بشرية، مما أدَّى إلى تحويل الحقائق الدينية إلى حقائق ثابتة وبداهات فطرية، وهذا يجعل الناس يقرّون بأنها لا تاريخية، ويجب الإذعان لها والتسليم لمحتواها، فاعتبرت المؤسسة أنَّ هذا الأمر يعطّل ملكة التفكير والمساءلة والفهم عند الإنسان.

يقول محمد سويلمي الكاتب في المؤسسة: (إن الثقافة الدينية أيا تكن مبنية على التسليم والانقياد النفسي والروحي والاعتقادي والإذعان السلوكي أو ما يسميه بورديو بالدوكسا، وهي جملة البداهات المعرفية والعملية التي تمثل المسلمات اليقينية والفطرية للفرد في عالمه الاجتماعي، بما يجعلها عقيدة عملية وهذا يمنح الحقائق الدينية صلاحية كونية حاسمة بأن تتحول إلى كائنات نظرية متعالية لا تاريخية، تسكن البناء الاجتماعية والوعي الذاتي والجمعي معا، إنَّ القول بثبات الحقائق الدينية وانقلابها إلى بداهات فطرية. يقتضي الإقرار بأنها لا تاريخية ولا بشرية. وتستوجب الانصياع والتسليم بما يعني

تعطيل ملكة التفكير والمسائلات والتفهم، وهو ما يقتضي تسييج فهم النص وإحاطته بجملة من الضوابط التي تضمن وحدة الشعائر والمعتقدات)[40]

لقد نظر الحداثيون لمسألة التأويل على أنَّها يجب أن تكون في سياق تشكلاَّت القرآن الكريم التاريخية والاجتماعية، وهذا الأمر من الخطورة بمكان حيث يؤدي إلى القول بتاريخية القرآن الكريم، وهذا يحول القرآن الكريم إلى كتاب ثقافة عادي ويرفع عنه القداسة، ويجعل الحداثيين يتعاملون مع كنصٍ عادي مثل أي نص ويرفعون عنه صفة القداسة، ولا يعني أن يقر الحداثيون بمصدرية القرآن الربانية أنَّهم لا يرفعون عنه القداسة إذ بمجرد اقرارهم أنَّ القرآن الكريم يتصف بالتاريخانية يعني أنهم يرفعون عنه القداسة ويعاملونه كأي نص والاقرار بمصدريته الربانية بالنسبة لهم هي حجة أمام المسلمين حتى يقولوا أننا لا نلغي مصدرية القرآن الربانية، ولهذا يستشهد الحداثيون بآية من القرآن الكريم ويخرجونها خارج سياقها ليطوعوا النص لغايتهم، فيقولون إنَّ الآية رقم 4 في سورة إبراهيم حيث يقول الله تعالى فيها: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [إبراهيم: 4] ، (تدل على أنَّ لغة القرآن الكريم تستمد مرجعيتها من اللسان العربي بصفة عامَّة، ومن إطاره التداولي التاريخي في جزيرة العرب قبل الإسلام بصفة خاصة، وبالتالي فإنَّ انتشار نطاق الدعوة الإسلامية التي عمادها القرآن الكريم اقتضى أن تكتسب لغة الخطاب القرآني،

40 Suwaylimī, Muḥammad. (2019). *Al-Muʾassasah al-Dīnīyah wa al-Taʾwīlāt al-Mārīqah: Al-Shakk khuṭīʾah ʾīmānīyah wa maʿrifīyah*. Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. Retrieved from https://2u.pw/D7wW7llb

بما هي في الأغلب لغة إجمالية معاني جديدة أحدثت تحولاتٍ دلالية في بنية اللغة الأم)[41]

5. الخاتمة

في ختام هذا البحث أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، من خلال استعراض أفكار مؤسسة مؤمنون بلا حدود ونظرتهم للقرآن الكريم في بعض القضايا التي وردت في القرآن الكريم من حيث أنه يعتبر المصدر التشريعي الأول للمسلمين من الله سبحانه وتعالى، ثم باعتباره وحياً من الله عز وجل، وأخيراً قضية التعامل مع القرآن الكريم من حيث تأويل نصوصه، ثم تحليل أفكارهم وكلامهم في هذه المسائل الثلاثة المركزية في القرآن الكريم، ولا بد لنا هنا من التركيز على أن هذه المسائل الثلاثة التي استعرضناها في البحث والخوض فيها من قبل المؤسسة تستهدف طرح قضايا حسَّاسة في مجال القرآن الكريم، وفي أصول القرآن الكريم مثل التشريع والوحي ثم انعكاس هاتين المسألتين في قضية التأويل، فقضية التأويل هي في صلبها ليست قراءة للنصوص فحسب بل هي تطبيق للقرآن الكريم في الواقع العملي في الحياة، وهي تمثل لنصوصه وما تحتويها هذه النصوص من آدابٍ وأحكامٍ وتطبيقها على شخصية المسلم وتعاملاته اليومية في واقعه.

النتائج

41 Barhūmah, Mūsā. (2024). *Al-Taʾwīl al-Dīnī wa al-Muwājāhāt al-Mustamirrah maʿa al-Maʿānī*. Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. Al-Maghrib al-ʿArabī, p. 3.

إن من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

أولا: سعي مؤسسة مؤمنون بلا حدود إلى طرح قضايا جدلية في موضوعات قطعية تم البت فيها سابقاً.

ثانيا: حاولت مؤسسة مؤمنون بلا حدود تحويل قضية التشريع في القرآن الكريم من الجانب الديني إلى الجانب الاجتماعي في محاولة منها جعل قضية التشريع قضية إنسانية وليست ربانية.

ثالثا: سعت مؤسسة مؤمنون بلا حدود إلى التشكيك في قضية الوحي ومسائله.

رابعا: اعتبرت مؤسسة مؤمنون بلا حدود أن مسألة التأويل أهم من المسائل الأخرى في القرآن الكريم.

خامسا: تهدف المؤسسة من طرحها لمسألة التأويل بهذا الشكل إلى جعل نصوص القرآن الكريم مثل أي نص عادي ورفع القداسة عنه.

سادسا: أثَّرت الحداثة الغربية والاهتمام بها عند المؤسسة على نظرتها للقرآن الكريم وعلومه.

المراجع والمصادر:

REFERENCES

ʿAbd al-Ḥamīd, Ḥilmī. (2000). *ʿIlm al-Antharūbūlūjiyā*. al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif.

Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid. (2014). *Mafhūm al-Naṣṣ: Dirasah fī ʿUlūm al-Qur'ān al-Karīm* Casablanca, Morocco: Mu'assasah Mū'minūn bilā Ḥudūd, Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl. (n.d.). *Sahīḥ al-Bukhārī*.

Al-Misīrī, ʿAbd al-Wahhāb. (n.d.). *Mawsūʿat al-Yahūd wa al-Yahūdiyyah wa al-Ṣuhyūniyyah* (vol. 2). Miṣr: Dār al-Shurūq.

Al-Qubānjī, Ṣadr al-Dīn. (2009). *Al-Islām wa Ishkālīyāt al-Ḥadāthah.* (1st ed.) Najaf, Iraq: Al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, Wahdat al-Dirāsāt wa al-Buḥūth.

Arkūn, Muḥammad. (2005). *Al-Qurʾān Min Al-Tafsīr Al-Mawrūth Ilā Taḥlīl Al-Khiṭāb Al-Dīnī* (2nd ed.,). Beirūt, Lubnān: Dār al-Ṭalīʿah.

Ārkūn, Muḥammad. (2007). Al-Fikr Al-Uṣūlī Wa Istiḥālat Al-Taʾṣīl. Beirūt: Dār al-Sāqī.

Barhūmah, Mūsā. (2024). *Al-Taʾwīl al-Dīnī wa al-Muwājāhāt al-Mustamirrah maʿa al-Maʿānī*. Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. Al-Maghrib al-ʻArabī.

Chandler, Dānīyāl. (2010). *Al-Sīmīyāʾīyah: Muqaddimah Qaṣīrah* (Trans. Aḥmad Fahmī). Al-Qāherah: Al-Markaz al-Qawmī li al-Tarjamah.

Ḥanafi, Ḥasan. (1905). *Dirāsāt Islāmīyah* Al-Qāherah: Maktabah al-Ānglū al-Miṣriyah.

Ḥarb, ʿAlī. (2005). *Naqd al-Naṣ*. (4th ed). Beirut: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

https://cutt.us/N770n

Ibn Fāris, Aḥmad bin Zakariyyā al-Qazwīnī al-Rāzī. (1979). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah* (Vol. 1). Damascus: Dār al-Fikr.

Lakhlūfī, Jamāl. (2022). *Antharūbūlūjiyā Al-Nubuwwah: Al-Waḥy Fī Mutakhayyil Ahl Al-Ḥadīth*. Al-Maghrib al-ʿArabī: Muʾassasat Muʾminūn bilā Ḥudūd.

Laland, A. (n.d.). *Al-Muʿjām al-Falsafī* (Vol. 2) n.p.

Lasinj. (2006). *Tarbiyat al-Jins al-Basharī* (2nd ed.,). n.p.

Maktabat al-Tahrīr, Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. (2014, February 26). Retrieved from https://2u.pw/NEcPuUsg

Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā Ḥudūd lil-Dirāsāt wa al-Abḥāth. (n.d.). *Tārīkh al-Tashrīʿ al-Islāmī li-l-Mustashriq N. J. Koulson: Tārīkhīyat al-Tashrīʿ am Imkāniyat al-Tahīn*. Retrieved from https://www.mominoun.com.

Quindī, Ghassān. (2022). *Mā al-Tāʾwīl: Mulāḥaẓāt fī ʿIlm al-Tāʾwīl.* Al-Maghrib Al-ʻArabī: Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā Ḥudūd, p. 4.

Suwaylimī, Muḥammad. (2019). *Al-Muʾassasah al-Dīnīyah wa al-Taʾwīlāt al-Mārīqah: Al-Shakk khuṭīʾah ʾīmānīyah wa maʿrifīyah*. Mūʾassasat Mūʾminūn Bilā ḥudūd. Retrieved from https://2u.pw/D7wW7llb